

# الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته

بحسب نوع الجمهور هما الحجاج الإقناعي L>argumentation persuasive وهو موجّه إلى الجمهور الخاص، والحجاج الإقناعي L>argumentation convaincante وهو ما يحدث فيه الإذعان والتسليم بإعمال العقل.

واستنتج صولة من نظرة المؤلفين لأنواع الجمهور وردّه إلى ما يسمّى بالجمهور العام، أنّهما «يجعلان الاقتناع وهو عقليّ دائماً أساس الإذعان وأساس الحجاج، وأنّ الإقناع بما هو ذاتيّ وضيّق لا يعتدّ به في الحجاج». ص 301

3 - ما علاقة الحجاج بالخطابة والجدل؟

يرى المؤلفان أنّ الباعث على الحجاج هو وجود شكّ في مدى صدق فكرة ما. والمحاجة تفترض أنّ هناك فكرة ينبغي تدقيقها والتشديد عليها. غير أنّ خصوم الخطابة لا يؤمنون بوجود حقائق متناقضة يتصدّى للدفاع عنها خطيبان مختلفان ويمكن أن يؤمن بها جمهوران مختلفان. فالخطابة ينبغي أن تكون كما يراها أفلاطون، منضوية تحت مظلة الحقيقة. وفي هذه الحالة لا تصبح هناك حاجة إلى الحجاج.

لكنّ الفلاسفة الراضين لمبدأ الحقيقة الواحدة، اضطروا إلى أن يضعوا في الحسبان إلى جانب العقل أهواء الإنسان، فتكون غاية الحجاج عندهم التأثير في الإدراك من ناحية وفي الإرادة (الأهواء) من ناحية ثانية.

ولذلك عقد أرسطو مصنّفين للحجاج: الموضوع اعتمد مناقشة الأطروحات مناقشة نظرية مجردة، والثاني وهو الخطابة واهتمّ فيه بخصوصيات الجماهير التي تتلقّى الخطاب.

وقد اعتبر المؤلفان أنّ هذا التمييز بين النوعين المذكورين من التأثير تمييز مغلوطة.

ويرى المؤلفان أنّ غاية الحجاج إحداث التأثير العمليّ الذي يمهّد له التأثير الذهنيّ. وهما بهذا يجمعان بين جدل أرسطو وخطابته. ولذلك عرفا الحجاج بكونه «العلاقات الجدلية القائمة بين الفكر والعمل». ص 304

وقد أدّى التّقسيم الثلاثي لأنواع الخطابة كما يراها أرسطو، بعده إلى تفكّك الخطابة وألحق كلّ نوع من الخطب بمجال مختلف: المشوري بالفلسفة، والمشاجري بالجدل، والبرهاني (الأفودقطيقي) بالأدب.

ويرى المؤلفان أنّ النوع البرهانيّ الأفودقطيقي هو واسطة العقد في فنّ الإقناع، إذ يسعى إلى إحداث الإجماع حول بعض القيم التي يقول بها الجمهور. ويكون فيه استخدام كلّ طرائق فنّ الأدب جائزاً.

وغايته مجرد إنشاء الاستعداد للعمل، في حين أنّ النوعين الآخرين المشوري والمشاجريّ غايتهم الانتهاء إلى العمل وإنشاؤه. ص 306

وبهذا أمكن للمؤلفين أن يوحّدوا كيان الخطابة الذي توزعت أجزاءه بين الفلسفة

2 - كيف يكون الحمل على الإذعان؟ يستنتج الباحث من كلام المؤلفين أنّ تحقيق الاقتناع Conviction يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال La démonstration والإقناع La persuasion.

يقتضي الاستدلال أن تكون عناصر أحديّة المعنى Univoque بحيث تكون ممّا يفهمه الناس جميعاً. والاستدلال غير مرتبط بمقام مخصوص. والاستدلال بهذه الخصائص هو نقيض الحجاج الذي يعدّ التعدّد والاختلاف والارتباط بالمقام خصائصه المميّزة. فالحجاج «مجاله الخطابة أو هو أقرب إلى الخطابة». ص 300

وقارن الباحث بين الحجاج والجدل من جهتي النتائج ومفهوم الحقيقة. فالنتائج في الجدل تستنبط من مقدمات تفضي إليها ضرورة. بينما الحقيقة في الحجاج ليست مضمونة ولا هي واحدة أو ضرورية أو موضوعية كما في الاستدلال، بل هي نسبية وذاتية إلى حدّ.

ورغم أنّ الحجاج ليس موضوعياً صرفاً فإنه أيضاً ليس ذاتياً صرفاً، فهو ليس إقناعاً على اعتبار الإقناع مبنياً على مخاطبة الخيال والعاطفة ومصادرة إعمال العقل وحرية الاختيار، «إذ من مقومات الحجاج عند المؤلفين: حرية الاختيار على أساس عقليّ» ص 301 أي بواسطة الاقتناع لا الإقناع.

يقسم المؤلفان الحجاج إلى قسمين

جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية  
تونس  
كلية الآداب منوبة  
فريق البحث في البلاغة والحجاج

أهم نظريات الحجاج في التقاليد  
الغربية من أرسطو إلى اليوم

إشراف  
صمادي صمود

o اختار الباحث توفيق الدعجي أن يستعرض مساهمة الأكاديمي الراحل عبدالله صولة في كتاب «أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم» وذلك في المداخلة التي قدمها الدعجي في ندوة «درس الحجاج في الثقافة العربية عبدالله صولة نموذجاً» بمشاركة سامي الرحوموني، وصابر الحباشة، وعلي سلمان، وإدارة الأكاديمي محمد النويري في مركز كانو الثقافي بحضور مجموعة من المثقفين والمهتمين ورواد المركز.

في البداية أشار الدعجي إلى أن «العمل الذي نروم التعريف به في هذا المقال، هو مساهمة الأكاديمي الراحل عبدالله صولة في مؤلف «أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم» بعنوان الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال «مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة» لبرلمان وتيتكاه (حمادي صمود وفريق البحث في البلاغة والحجاج بالجامعة التونسية. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم من تأليف فريق البحث في البلاغة والحجاج، 1998).

ظهر «مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة» العام 1958 وأعيد طبعه بعد ذلك طبعات كثيرة وقد اعتمد صولة في قراءته لهذا المصنّف طبعة العام 1992.

ورأى الباحث أنّ أهمّ غاية يرمي إليها هذا الكتاب هي إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل. «فقد عمل الباحثان من ناحية أولى على تخليص الحجاج من التهمة اللأطمة بأصل نسبه وهو الخطابة» المرتبطة «بالمغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضاً» (عبدالله صولة، الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال «مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة» لبرلمان وتيتكاه. ص 298) ومن ناحية ثانية سعى الباحثان إلى «تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب» ص 297. فالحجاج عندهما معقولة وحرية وحوار لبلوغ الوفاق وحصول التسليم برأي آخر بعيداً عن اعتبارية الخطابة ولا معقوليتها وعن إلزام الجدل واضطراره. وهذا يعني «أنّ الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره» ص 297. وقد كان مدار عمل صولة مسائل ثلاث هي في نظره لبّ نظرية الحجاج عند برلمان وتيتكاه، وهي أطر الحجاج، ومنطقاته، وتقنياته.

1 - تعريف الحجاج:

يعرّف برلمان وتيتكاه الحجاج في معرض حديثهما عن موضوع نظرية الحجاج بأنّه الخطاب الذي «يؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم» ص 299. ويعرّفانه عند حديثهما عن غرض الحجاج بالقول: «غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تزدن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان...» ص 299 وهو تعريف يثير مسائل عدّة منها: